كلمات

الأستاذ الجامعي لا يتقاعد...

ما كنتُ يوماً من المتبرمين المتشائمين، الناظرين إلى هذه الحياة بمنظارها الأسود القاتم، لأني أومن ان مَن يتفاءل بالخير، لا بُدّ أن ينال الخير وإنْ كان بعيداً عنه، ومن يترقّب الشر سيصيبه الشر، وإن كان ليس هناك أي شر.

ومع إيماني الشديد بهذه النظرية، أرى اننا سائرون نحو الدمار. ذلك اننا فقدنا مروءتنا وعزّتنا وكل فضائلنا – إلاّ من رحم ربك – وغدونا ذئاباً في ثياب نعاج، وأبالسة في شكل ملائكة، ومفسدين في لباس صالحين ومصلحين، نُظهر أنفسنا بمظهر الغيارى على المصلحة العامة والمُثل العليا، ونحن لا نتورّع عن الكذب والغش والخداع. ندّعي المدنية وهي منّا براء، ونفخر بالرقيّ ولا نعلم منه سوى اسمه، ونعتزّ بالتقدّم ونحن نعود القهقرى مسرعين، إلى عصور الوحشية والظلم وشريعة الغاب، ولكن بأسلوب طليّ وطريقة مزخرفة برّاقة.

الأستاذ الجامعي يحتلّ دوماً المكانة الأولى في المجتمع السويّ، يتقدّم الصفوف، يوجّه ويصنع الكبار الكبار وهو كلما تقدّم في السن غدا أوفر علماً وتجربة وإنتاجاً فكرياً وشأنه أن يجترح المعجزات.

يتوقّف نشاطه الرسمي الرتيب ليتحوّل مزيداً من الابداعية اختار أن يعيش بشرف وأن يسدي إلى أبناء جلدته أفضل ما لديه، فلمَ عرقلة حياته والتشفّي منه والانتقام لمجرد انه «أدمي»؟

يتحكمون في أسعار السلع ولا يرضون بالربح المعقول ويقضون على الأخضر واليابس... لا يحترمون الدستور والقانون ولا يحرصون على حقوق أولئك الذين يتفانون دوماً في سبيل النّاس، مما يقيم الدليل على ضعف الأخلاق وخسّة النفوس النافذة.

لو كان بعض «المسؤولين» يحاولون أن يصلحوا أنفسهم وأنفس قومهم ويعالجون أسباب هذه الأمراض المخجلة، لهان الأمر، ولكننا – وا أسفاه – نسير بخطى مسرعة نحو مزيد من الفساد والضلال، والرذيلة والفوضى، والعنعنات الحزبية والطائفية البغيضة، والأنانية الهوجاء.

لا يخشون الله في ما يعملون، ولا يقيمون وزناً للشرفاء العقلاء ويعطونهم حقوقهم الأوّلية لاجراء إصلاح فعلي وتغيير مجدي في المجتمع!

ليرفعوا أيديهم عن قيادة الفكر والجامعيين وسائر الشرفاء العقلاء وإلاّ فانهم سيظلون يستحقون أن يصبّ الله عليهم حممه وناره، ولكنه عزّ شأنه، لا يعاملنا بأعمالنا و«لولا عبادٌ لله رُكّع، وصبيةٌ رُضّع، وبهائم رُتّع لصُبّ (علينا) العذاب صباً ثم رُصّ رصّاً» (حديث شريف).

الأستاذ الجامعي كجسر دائم، تسير عليه مواكب الأجيال الصاعدة فعلاً، فيبلغ البعض أعلى المناصب وأجداها ومنهم من يتربّع على سدّة الحكم أو على منصة القضاء ويمثّل غيرهم الوطن في مجلس النواب..

وهؤلاء جميعاً، حتى إذا صفت نياتهم وتألّقت عقولهم، ليس من شأنهم أن ينتجوا أستاذاً ابتدائياً واحداً!

فدعوه وشأنه في نضاله الموصول واعداده لمستقبل زاهر عاطر! هكذا يبلغ بنوكم الهدف الأمثل الذي تبسم عن جانبيه عذارى الأماني وعرائس الآمال.

د. جهاد نعمان